

الطرح الإعلامي لجرائم فرنسا في الجزائر

دراسة تحليلية نصية لفيلم معركة الجزائر

د. مصطفى سحاري جامعة المدية

د. نفيسة نايلي جامعة أم البواقي

الملخص :

قامت فرنسا أثناء تواجدها على أرض الجزائر منذ سنة 1830 إلى غاية 1962 بممارسة سياسات قمعية متعددة في حق الشعب الجزائري قصد طمس هويته وعقيدته. وقد زادت تلك الممارسات بصورة أكبر سيما بعد اندلاع الثورة التحريرية التي أخذت تتوسع شيئا فشيئا حتى شملت كل التراب الوطني. وكلما كانت أساليب الثورة التحريرية تتوسع إلا وطورت السلطات الاستعمارية من سياستها القمعية بتنفيذ أشد أساليب التعذيب والتنكيل بغية القضاء عليها وعلى قادتها. وقد قامت العديد من الوسائل الإعلامية بعد الاستقلال بطرح موضوع جرائم فرنسا في الجزائر سواء ضد الشعب الأعزل أو ضد أفراد جيش وجبهة التحرير الوطني، ومن هذه الوسائل نجد السينما الجزائرية التي قامت بطرح هذا الموضوع بصورة كبيرة سواء بطريقة مباشرة أو ضمنية من خلال العديد من الأفلام التي تطرقت لأحداث الثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: الطرح الإعلامي ؛ السنما الثورية ؛ التحليل السيميولوجي

Summary

France had practiced during her presence on the land of Algeria since 1830 till 1962 a different political repressive exercise toward the Algerian people in order to erase his identity and faith.

And those practices increased moreover, especially after the beginning of revolutionary war which more extended step by step and covered all the national territory.

The more the methods of revolutionary war was expanding the more the colonial authorities developed its repressive policy by performs the implantation of torture, abuse and aggressive to eliminate it and its leaders , many media has raising the issue of France crimes in Algeria after getting independence either against unarmed people or against member of army and the national liberation front among these means we found Algerian cinema which has raising this issue significantly either directly or implicitly within many films that deals to the events of liberation war.

Starting from this point our research comes to reveal of treatment of the revolutionary Algerian cinema to France crimes in Algeria through an analytical and textual study of the Algerian battle film.

مقدمة

نفذت السلطات الاستعمارية الفرنسية المدنية والعسكرية، إبان الاحتلال عامة، والثورة التحريرية خاصة مخططا إجراميا لإبادة الشعب الجزائري، وعمدت إلى استخدام كل الإجراءات الممكنة والمتوفرة لديها، ولم يسلم من سياستها القمعية والعقابية أحد، حيث وسعتها لتشمل دون تمييز المدنيين العزل من أطفال ونساء وشيوخ. وارتكبت فرنسا على إثرها العديد من المحازر الجماعية، وحالات التقتيل الفردي والعشوائي، وفي هذا الإطار استعانت القوات الفرنسية بعدة وسائل وقوانين عقابية تتعارض مع القوانين الدولية وحتى الفرنسية، أطلقت عليها اسم القوانين الخاصة "les pouvoirs spéciaux".

وقد حاولت العديد من الوسائل الإعلامية على اختلاف أنواعها التعرض لتلك الجرائم سواء كانت جزائرية أو أجنبية محاولة بذلك كشف ولو القليل مما قامت به فرنسا على أرض الجزائر من قتل وتنكيل وتهجير... إلخ، ولعل من أهم تلك الوسائل الإعلامية الجماهيرية نجد السينما الجزائرية التي عكفت أثناء الثورة وحتى بعدها بالتعرض إلى هذا الموضوع سواء بصورة مباشرة أو ضمنية، سعيا منها إلى وضع فرنسا خاصة والعالم عامة أمام الواقع الذي عاشه الشعب الجزائري طيلة فترة تواجد الاستعمار الفرنسي الغاشم على أرض الجزائر.

ونظرا لتعدد الجرائم الفرنسية في الجزائر منذ دخولها سنة 1830 إلى غاية خروجها سنة 1962، وصعوبة حصرها في بحث من هذا النوع، فقد حاولنا أن نتطرق إلى جرائم فرنسا إبان الثورة التحريرية المجيدة من خلال تحليلنا لفيلم معركة الجزائر *La Bataille D' Alger*، وهو عبارة عن أحداث واقعية جسدت في فيلم سنمائي من العيار الثقيل ليكشف بعض مما مارسه الاستعمار الفرنسي من ظلم واستبداد ضد الشعب الجزائري دون استثناء.

ومما سبق ولمعالجة هذا الموضوع ارتأى الباحثان طرح السؤال العام التالي:

كيف طرح فيلم معركة الجزائر قضية جرائم فرنسا في الجزائر إبان الثورة التحريرية؟

وقد تفرع عن هذا السؤال مجموعة من التساؤلات هي:

— ماهي الصورة التي قدمها الفيلم عن جرائم فرنسا في الجزائر؟

- ماهي المؤثرات الصوتية والبصرية التي استخدمها مخرج الفيلم للتعبير عن جرائم فرنسا؟
- فيما تجسدت الدلالات والمعاني التي حملها الفيلم والتي عبرت عن الظلم والاستبداد الممارس ضد الشعب الجزائري؟
- كيف قام المخرج بتوظيف أهم الرموز والإيحاءات لكشف الجرائم الاستعمارية ضد الشعب الجزائري؟

منهج الدراسة: اعتمد الباحثان في دراسة هذا الموضوع، مقارنة التحليل السيميولوجي حسب نظرية رولان بارت التي تعتمد على تحويل الفيلم إلى نص ومن ثم تحليل أبعاده الدلالية وصوره اللسانية للكشف عن المضمون الظاهر والكامن الذي يصور معاناة الشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وبالضبط أثناء ثورة التحرير الجزائرية - وتندرج الدراسة ضمن البحوث التي تعتمد على تقنية التحليل النصي السيميولوجي، الذي يركز على تحليل العناصر المكونة للرسالة الإعلامية مهما كان نوعها، إن على المستوى الظاهر أو على المستوى الكامن بواسطة تفكيكها إلى وحدات دنيا، وإعادة تشكيلها حسب الواقع الذي نسجت فيه للوصول إلى تفسير دقيق لطبيعة تلك الرسالة.

وبما أنّ هذه الدراسة تقوم على أساس تحليل صورة جرائم فرنسا في فيلم معركة الجزائر، فإنه لمن الضروري اللجوء إلى هذه الطريقة في التحليل عن طريق استخدام مقاربة التحليل السيميولوجي التي تعتمد على مفهوم كل من النسق، الآنية والدليل (Synchroni , Système, signe). وبهذا الثالوث ترتبط المقاربة التي تعتبر من أهم طرق البحث الكيفي⁽¹⁾.

إن التحليل السيميولوجي يتناسب بصفة كبيرة مع مثل هذه الدراسات التي تتم بمختلف أنظمة الدلائل Systhème Signes مهما كانت مادتها: رسم، كاريكاتير، أسطورة، إيماءة، موضحة، صورة (تشكيلية، فوتوغرافية)، ملصق إشهاري، ومضة اشهارية تليفزيونية، فيلم سينمائي، مسرحية... إلخ⁽²⁾، ويكشف التحليل السيميولوجي بصفة أساسية على العلاقات الداخلية المكونة لعناصر الخطاب وإعادة تشكيل نظام الدلالة بأسلوب يستعمل لفهم وظيفة الرسالة الإعلامية داخل النسق الثقافي بشكل أفضل⁽³⁾.

ويوضح ذلك الباحث Louis Hjelmslev أهمية التحليل السيمولوجي بقوله: " هو مجموعة الأساليب أو التقنيات والخطوات التي يستخدمها الباحث لوصول وتحليل شيء ما ذو دلالة في حد ذاته عن طريق إقامة علاقات مع أطراف أخرى من جهة ثانية"⁽⁴⁾.

ويمثل التحليل السيمولوجي بالنسبة لـ رولان بارت، شكل من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسائل الأيقونية أين يلتزم الباحث بالحياة تجاه الرسالة من ناحية ويسعى إلى التكامل من خلال التطرق إلى الجوانب الأخرى كالجوانب السيكولوجية، الثقافية الاجتماعية وغيرها من تلك التي يمكن أن تدعم التحليل بشكل أو بآخر"⁽¹⁾. أما الباحثون في حقل السيميولوجيا فيرون" أن التحليل السيمولوجي يسعى للوصول للدلالة الحقيقية وأن كل من المدلولات والدوال هي نتائج ثقافة ما"⁽²⁾. والتحليل السيمولوجي كذلك هو وسيلة للكشف عن المعنى العميق للدراسات وذاتها الحقيقية، كما يعمل على إظهار نوايا مصممي " مرسلي" تلك الرسالة"⁽³⁾.

و ربما كانت هذه الدراسة تهدف إلى تحليل صورة جرائم فرنسا في الجزائر إبان الثورة التحريرية من خلال فيلم معركة الجزائر، أي صورة الثورة في مرحلة زمنية معينة ، في بيئة اجتماعية وثقافية تتميز بخصوصيات معينة، ومنه سنقوم "بتحليل القوالب التعبيرية والعناصر الدالة (صوت وصورة) من أجل إبراز الوظيفة الاجتماعية لهذه الرسالة.

عينة الدراسة: هي عينة قصدية بحيث حاول الباحثان اختيار الفيلم الذي يعبر مباشرة على موضوع الدراسة، وهو جرائم فرنسا في الجزائر بشق أنواعها من خلال فيلم معركة الجزائر، وهو الفيلم الذي سيحقق أهداف الدراسة ويجيب على تساؤلاتها.

بطاقة فنية عن فيلم معركة الجزائر:

إنتاج: قصة فيلم وإيغو فيلم

السنة: 1966

الاطار: 1.66

النسخة: أبيض وأسود

المدة: 151 دقيقة

الممثلون: ياسف سعدي، ابراهيم حجاج، سي محمد بغدادي، فاطمة بوريجية، سامية مارتن.

الكومبارس: سكان القصة

سيناريو: ياسف سعدي

إخراج: جيليو بونتكورفو Gillo Pontecorvo

مقدمة عن الفيلم: يعتبر الفيلم أول إنتاج مشترك بعد الاستيقلال، جزائري-إيطالي مثلما يدل عليه عنوانه ويصور هذا الفيلم جانبا من معركة الجزائر الكبرى⁽¹⁾. ويندرج هذا الفيلم ضمن الانتاجات السينمائية الجزائرية المشتركة والتي ازدهرت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات. إن الأفلام التي أنتجت في فترة الستينات، تناولت كلها موضوع حرب التحرير الوطني وبطولاتها لذلك ظلت الملاحظات توجه إلى السينما الجزائرية ومن هذه الملاحظات أن السينما في الجزائر أصبحت بعد الاستقلال تعيد نفسها من خلال اجترار موضوع "حرب جيش التحرير"، وجاء الرد من السينمائيين الجزائريين رافضا لهذا الرأي الذي يروج له النقاد الغربيون: "إنهم يتبنون هذا الرأي لأنهم في الغرب لا يرغبون في إعادة تصوير تلك المرحلة أو إعادة الكلام عن مرحلة حرب التحرير بل يدعون أننا بذلك لانفعل سوى تشويه الحقيقة، لدرجة أنهم في فرنسا فرضوا الحظر على الأفلام الجزائرية التي تعالج حرب التحرير"⁽²⁾.

عالج فيلم معركة الجزائر بطولة سكان القصة ووقفهم إلى جانب قادة جبهة التحرير الوطني وقد رسم المخرج من خلال هذا الفيلم إلتفاف الشعب الجزائري بكل فئاته حول جبهة التحرير الوطني واحتضانه للثورة، ليس في العاصمة فحسب بل في كافة القطر الجزائري، وركز على رفض الشعب للاستعمار باجتياحه شوارع العاصمة دون تردد أو خوف من دبابات الاحتلال، كما أظهر الفيلم أن المساعدة التي قدمها سكان القصة للمجاهدين تعكس رغبتهم الشديدة في الحرية ومدى وعيهم بقضية بلادهم.

و تناول الفيلم شخصيات حقيقية لعبت دورا أساسيا في معركة الجزائر نذكر منها، علي لاوانت، حسية بن بوعلي، العربي بن مهدي، ياسف سعدي والطفل عمار، مما أضفى طابع الواقعية على انجاز بونتكورفو الذي حقق نجاحا كبيرا لحصوله على عدة جوائز دولية وعربية منها الأسد الذهبي في مهرجان البندقية عام 1966 والجائزة الكبرى للنقد الدولي في نفس السنة. ووصف الفيلم المجاهدين والفدائيين بالبراعة والشجاعة واستدل المخرج في ذلك بالعمليات

الفدائية التي قام بها المجاهدين والمجاهدات، بالإضافة إلى شجاعة سكان القصبة الذين ساندوا الفدائيين. وبالمقابل صور الفيلم الأساليب الوحشية واللاإنسانية التي اتخذتها فرنسا للقضاء على الثورة.

الصورة التي قدمها الفيلم عن جرائم فرنسا في الجزائر إبان حرب التحرير: يجسد فيلم معركة الجزائر قصة واقعية من تأليف المجاهد ياسف سعدي الذي عايش واقعا الأحداث التي عرفتھا الجزائر خلال فترة ما يسمى بمعركة الجزائر، وكان أحد المسؤولين في جبهة التحرير الوطني. وقد أعاد هذا الفيلم بناء الوقائع التي جرت في العاصمة وتحديدًا في حي القصبة إبان حرب التحرير المضفرة التي حركها الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني ضد الاحتلال الفرنسي. ويروي الفيلم بصفة خاصة الهجومات التي كان يقوم بها الفدائيين في العاصمة ضد القوات الاستعمارية ما جعل الاستعمار الفرنسي جيشًا وحكومة يقومون بأعمال وحشية ضد الشعب الجزائري.

وقد قسم الفيلم إلى ثلاثة محاور تمثلت فيمايلي:

- 1- إلقاء القبض على العربي بن مهدي، استشهاد علي لابوانت وحسيبة بن بوعلي والطفل عمار.
 - 2- حصار القصبة واضراب الثمانية أيام والانفجارات التي قام بها الفدائيون في العاصمة.
 - 3- أساليب التعذيب التي اتبعتها فرنسا في تلك الفترة لاستنطاق المجاهدين.
- ومن خلال هذه المحاور فإننا نلمس حجم الجرائم الفرنسية مقارنة بكفاح الشعب الجزائري، حيث تجسدت جرائم القوات الفرنسية في: تفجير مخبأ علي لابوانت وزملائه منهم الطفل عمار، حصار القصبة، التفجيرات التي نفذها أحد محقق الشرطة في حي القصبة ليلا ضد السكان العزل، بالإضافة إلى التأثير النفسي من خلال زرع الرعب والاستهزاء بالجزائريين، واستخدام العنف والتنكيل بالجزائريين في الحواجز الأمنية وكذا استخدام العنف في اخراج السكان من منازلهم وعدم مراعاة ضعف الأطفال والنساء، بالإضافة إلى زرع الأسلاك الشائكة حول حي القصبة وجلب أكبر عدد ممكن من الجنود الفرنسيين.

ولم يتم عرض هذا الفيلم على الجمهور الفرنسي إلا في السنوات الأخيرة من خلال قناة آر تي، ولا يزال ينال الكثير من الاهتمام خاصة وأن البنتاغون الأمريكي قام بعرضه على الضباط الساميين لمحاولة فهم معنى حرب المدن⁽¹⁾.

عنوان الفيلم: إن عنوانا الفيلم يصنع في حد ذاته لوحة لساحة حرب حقيقية لخصها في لفظة معركة، فالمطلع على العنوان يدرك جيدا بأن أحداث الفيلم تروي جانبا تاريخيا من الثورة التحريرية في الجزائر، لقد اختار مخرج الفيلم هذا العنوان لأن أحداث القصة التي جرت وقائعها ذات 1957 في حي القصة أطلقت عليها السلطات الاستعمارية معركة الجزائر، إذن العنوان كانت له دلالة مباشرة على محتوى الفيلم وشخصياته.

العنوان Le Titre: يعتبر العنوان من أهم عناصر الجنيريك وحسب رولان بارث **Roland Barthes** فإن العنوان له وظيفة تحديد بداية النص فهو بمثابة المفتاح الذي بواسطته ندخل الفيلم ويمكن من خلاله فهم الموضوع الذي يدور حوله هذا الفيلم⁽²⁾.

التحليل التعييني لأهم المقاطع المجسدة لجرائم فرنسا في الفيلم:

المقطع الأول: في بداية الفيلم نرى مجاهدا جزائريا شاحب اللون هزيلا جدا يبدو عليه الخوف والرعب بعد استسلامه أمام التعذيب الوحشي الذي لاقاه من قبل الجنود الفرنسيين حيث يخبرهم عن مكان تواجد علي لابوانت وزملائه، مباشرة بعد ذلك تنقلنا الكاميرا إلى مشهد آخر يظهر من خلاله علي لابوانت وزملائه داخل المخبأ في حي القصة وهم محاصرين من قبل جنود الاحتلال الفرنسي، في هذه اللحظة يبدأ علي لابوانت في استرجاع ذكريات سنواته الأخيرة التي انظم من خلالها إلى جبهة لتحرير الوطني عن طريق تقنية الفلاش باك *flache-back* ويظهر لنا المقطع الأول من الفيلم الفترة الأولى من الثورة من سنة 1954 إلى سنة 1957 وهي السنة التي استشهد فيها علي لابوانت مع حسبية بن بوعلي والطفل عمار، وقد عبر المخرج عن ذلك بعودة الكاميرا إلى شوارع العاصمة عام 1954 وبالضبط إلى حي القصة.

المقطع الثاني: يحاول الفيلم من خلال هذا المقطع عرض مرحلة من مراحل الفترة الممتدة من 1954 إلى 1957، حيث صور فترة أفريل 1956 حين تشرع جبهة التحرير الوطني في فرض سياستها على المواطنين بإعلانها منع التدخين وتعاطي الخمر، وهذا دليل على البعد الديني وقد

عبر عن ذلك مشهد السكير الذي التف حوله الأطفال وانهمالوا عليه ضربا حتى الموت وقد كان ذلك استجابة المواطنين لقرار الجبهة وإتفافهم حولها.

كما يبرز الفيلم في هذا المقطع انطلاق العمل الفدائي بالعاصمة حيث بين المخرج العديد من الأعمال الفدائية التي نفذتها جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، مما دفع بقوات الاحتلال بتشديد الحراسة على أحياء العاصمة وغلق العديد من الشوارع التي يقطنها الجزائريون، وفرضت سياسة حضر التجول، كما اتخذت القوات الاستعمارية عدة تدابير تعسفية من بينها حضر بيع الأدوية واللوازم الخاصة بالجروح والاصابات.

المقطع الثالث: ينتقل بنا المخرج في هذا المقطع من الفيلم إلى اظهار سياسة فرنسا الوحشية من أجل قمعها والقضاء على العمل الفدائي لجمعية التحرير الوطني إذ يبين لنا المخرج وصول القائد فيليب ماتيو سنة 1957م الذي نصبته حكومة الاستعمار الفرنسي للقضاء على الثورة وهذا ما يظهره ترحيب المعمرين باستقدام هذا الرجل وقواته وقد كان ذلك رغبة منهم في انتصار فرنسا وبقائها في الجزائر لضمان مصالحهم.

ويأتي هذا الإجراء حسب ما صوره الفيلم بعد النجاح الذي حققته الثورة لغاية هذه الفترة وانضمام المرأة الجزائرية للعمل الفدائي جنب الرجل من خلال اتباع استراتيجية محكمة تمثلت في تغيير النساء اللواتي ظهرن في الفيلم لمظهرهن كي لا يميزهن العساكر الفرنسيين عن غيرهن من نساء المعمرين، وهو ما يظهره حديث احدهن مع الجنود الفرنسيين وهم يقومون بتفتيش الجزائريين ومنعهم من احتياز الحاجز.

المقطع الرابع: في هذا المقطع يروي الفيلم وقائع اضراب الثمانية أيام الذي قام به الجزائريون احتجاجا على المعاملة التعسفية للاستعمار ومطالبة الانسحاب من أرضه، وكأحد مظاهر العنف والاجرام يظهر لنا الفيلم الاجراءات التعسفية المتمثلة في اجبار الشعب الجزائري من إلغاء الاضراب ومباشرة العمل عن طريق فتح المحلات والدكاكين واعتقال الأشخاص بطريقة عشوائية.

وما كان ذلك سوى دليل على تخوف فرنسا من توسع صدى الثورة لتشمل كل القطر الجزائري، مما جعلها تحاول تحريض السكان ضد جبهة التحرير الوطني، محاولة منها القضاء على الثورة في أوج اشتعالها.

المقطع الخامس: تم القاء القبض على العربي بن مهدي حيث أظهره المخرج في إحدى اللقطات وهو يجيب على أسئلة الصحفيين، كما بين لنا الفيلم إلقاء القبض على جعفر وإحدى المجاهدات وفي الأخير يظهر لنا علي لابوانت في محبته بحج القصبة رفقة حسبية بن بوعلي والطفل عمار في لحظاتهم الأخيرة بعدما رفضوا الاستسلام لقوات الاستعمار حيث بقي القائد الفرنسي لمدة طويلة يطلب من علي لابوانت الاستسلام ويحذره من تفجير المكان. ويتم بعدها تفجير المخبأ وتعالى زغاريد النسوة وتكبيرات الرجال.

نهاية الفيلم: حاول المخرج أن يصنع لفيلمه نهاية مفتوحة ليست من نسج خياله ولكنها نقلت واقعا عاشه الشعب الجزائري سنة 1957 عندما أدرك أن الحرية أصبحت مطلبا ملحا وضروريا لا يعتمد إلا على القوة، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

وبلقطات متنوعة تظهر لنا نهاية الفيلم المظاهرات التي نظمها الشعب الجزائري في حي القصبة والتي توسعت لتشمل كل شوارع وأحياء العاصمة، وتنطلق المواجهات المباشرة بين الشعب وقوات الاستعمار ومع عدم تمكن القوات الاستعمارية من السيطرة على الوضع تباشر في اطلاق الرصاص الحي بطريقة عشوائية حيث يظهر لنا الفيلم سقوط العديد من القتلى والجرحى من مختلف الفئات حتى من النساء والأطفال.

التحليل التضميني للمقاطع المختارة:

المقطع الأول: عبر المخرج مباشرة عند بداية الفيلم على جرم ووحشية الاستعمار الفرنسي من خلال اظهار مجاهد بشكله الضعيف والهزيل والخوف باد على وجهه وهو يرتعش من شدة الخوف والألم، وقد كان ذلك تعبيرا ضمنيا ودلالة سيميولوجية على أحد جرائم فرنسا وهو التعذيب والتنكيل الذي كانت تمارسه ضد الشعب الجزائري، خاصة أولئك الذين لهم علاقة مباشرة مع جبهة التحرير الوطني. وبالإضافة إلى تعبیر الفيلم عن أساليب التعذيب الجسدية الوحشية التي جعلت هذا المجاهد يستسلم بعد نفاذ صبره على تحمل الألم. فقد عبر من جهة أخرى على التعذيب النفسي وهو اجباره على الاعتراف وتجريده من ملابسه وارغامه على ارتداء الزي العسكري الفرنسي، بل أكثر من ذلك فقد سبق أمامهم إلى مكان إختباء علي لابوانت حتى تجرده من كل قيمه ومبادئه أمام اخوانه الجزائريين وتشوه صمغته وتظهره بصورة الخائن الذي لا يمكنه التضحية من أجل إخوانه المجاهدين أو من أجل وطنه.

وفي ذلك تعبير للمخرج عن الرسالة التي أرادت فرنسا نقلها لسكان القصبة الذين انفوا حول الجبهة وتخويفهم بأشد أساليب التعذيب من خلال اصطحاب ذلك المجاهد الذي أصبح بصورة شبح من أثر التعذيب.

بالإضافة إلى وصف الحالة النفسية للبطل علي لابوانت مع رفاقه خاصة من خلال احتضانه للطفل عمار وبجانبه حسبية بن بوعلي فموت امرأة وطفل صغير معه بهذه الطريقة الوحشية دلالة قاطعة على بشاعة السياسة الاستعمارية المنتهجة للقضاء على الثورة، حيث لم يكن يعنيه موت الأطفال والنساء ولا الطرق التي يقتلون بها بقدر اهتمامها بالبقاء على أرض الجزائر وإخماد نار الثورة التحريرية.

كما كان في لحظات استرجاع علي لابوانت لذكريات بداية عمله الثوري دليل على مدى الحرمان والألم والمعاناة التي عاشها في طفولته وهو يرى الظلم الذي ألم ببني جلدته من قبل المستعمر الغاشم وسياسته الإجرامية، سيما تلك الصورة التي نقلت تنفيذ حكم الإعدام على أحد المجاهدين الذين كانوا رفقة في السجن، حيث يصور لنا المخرج المجاهد وهو يساق إلى المقصلة بالقوة وفي ذلك دلالة رمزية واضحة على العنف والتعذيب الذي كان يمارس على الجزائريين.

المقطع الثاني: من خلال وصول القائد فيليب ماتيو إلى العاصمة يريد المخرج أن يظهر لنا صورة أخرى من صور الوحشية والقمع الذي اتخذته فرنسا ولكن هذه المرة بأكثر حدة خاصة وأن فيليب ماتيو معروف بأساليبه الشديدة في التعذيب والتنكيل، وممارسة شتى أنواع القمع من أجل القضاء على الثورة وهذا كان هدف الحكومة الفرنسية من إرساله إلى العاصمة بعد نجاح الثورة التي شملتها مختلف العمليات الفدائية التي كان يقوم بها أفراد جبهة التحرير الوطني.

وقد كان في هذا الإجراء الذي اتخذته الحكومة الفرنسية زيادة الخوف والضغط النفسي على الجزائريين بصفة عامة وقادة جبهة التحرير الوطني بصفة خاصة، وذلك كي تقنع الجزائريين بفشل الثورة وتدفعهم للانسلاخ عنها وعن تدعيم جبهة التحرير الوطني وبالتالي تحقق خططها في القضاء على قادة الثورة.

ومن أبعث الصور تلك المماثلة في تسلل قائد الشرطة إلى حي القصبة ليلا وزرع إحدى القنابل انتقاما للضحايا المعمرين الذين استهدفتهم التفجيرات التي خططت لها جبهة التحرير الوطني وتمت بنجاح، وقد خلف تفجير القصبة العديد من الضحايا والشهداء، لكن ظهرت صورة

أخرى تجسد التضامن والتآزر بين سكان القصبة كرسالة لفرنسا بأن السياسة التعسفية المنتهجة من قبلها لا تنقص من عزيمة الجزائريين والتفافهم حول الثورة.

المقطع الثالث: لقد تجسدت مظاهر العنف والحرمان من خلال هذا المقطع وبأكبر حدة حيث اتجهت السلطات الاستعمارية إلى فرض سيطرتها على الشعب وخاصة سكان القصبة والأحياء التي يقطن بها الجزائريين في العاصمة، وقد أراد المخرج من خلال هذا إبراز التعامل الوحشي واللاإنساني للعساكر الفرنسيين، وقد دقق المخرج في إحدى المشاهد لإبراز هذا الجانب من الوحشية وهو صورة أحد السكان وهو يفتش من قبل أحد العساكر وإذا به يكتشف أنه نسي أوراق هويته في البيت فأخذ يترجى الجندي أن يسمح له بالعودة للمتل بغرض إحضارها، لكن الجندي رفض وأصر على نقله للسجن مع بقية المشكوك في أمرهم، ومن جانب معاكس نرى تعامل الجنود مع المعمرين بشكل مختلف وهو ما ظهر مع الجزائرية التي أوهمتهم من خلال مظهرها بأنها فرنسية، حيث أخذوا يتحدثون معها بشكل محترم وهم يفسحون لها الطريق، كما نجد صورة أخرى تعبر عن النية الخبيثة للجنرال ماثيو وذلك من خلال اجتماعه مع الجنود وهو يحثهم بشدة على تزويد التفتيش الدقيق حتى بالنسبة للنساء اللواتي يمكن أن يحملن تحت عباءاتهن سلاح أو أي وثائق تخص الثورة، بالإضافة إلى تحريضهم على الرجال المسنين من خلال عرضه لصورة شيخ يحمل طاولة تنظيف الأحذية فقام الجنود ببعثرة ما فيها ما أثار سخرية واستهزاء الجنود المجتمعين مع الجنرال ماثيو.

ويدخل هذا ضمن ما يسمى بالصورة النمطية التي حاولت فرنسا نشرها حول جيش التحرير والثورة التحريرية،

وتبرز أهمية هذه الوسيلة في المجالات السياسية الداخلية والخارجية حيث تلعب القوى المعارضة والمتنافسة دورا خطيرا في تشويه صورة النظام الحاكم أو المترشح المنافس ويظهر ذلك من خلال الجهود المقصودة والمستمرة التي يبذلها كل طرف لتشويه صورة الطرف الثاني، ويحسن كل طرف صورته وهذا ما يؤدي إلى محاولة إضفاء المعالم الايجابية على الذات والمعالم السلبية على الخصم⁽¹⁾.

المقطع الرابع: يصور لنا المخرج في هذا المقطع من الفيلم النتيجة النهائية للعنف والسياسة الإجرامية التي تجسدت في التعذيب والترهيب ومختلف الخطط الجديدة التي جاء بها الجنرال ماثيو

أهمها اجبار المجاهدين المقبوض عليهم من شدة التعذيب الوحشي وهو ما حدث مع المجاهد الذي ظهر في أول الفيلم وفي هذا المقطع كذلك.

ويدل المشهد الذي ألقى فيه القبض على **المجاهد جعفر** أحد قادة جبهة التحرير رفقة امرأة دليل قاطع على نجاح سياسة ماثيو وقد عبر المخرج عن توتر المجاهدة التي كانت رفقة جعفر وخوفها الشديد وهو دليل على تيقن المجاهدة مما ينتظرها هناك من تعذيب وتنكيل والذي ستعرض له لا محالة كي تعترف بأسرار عملها إلى جانب قيادة جبهة التحرير الوطني.

وقد عبرت صورة اختباء علي لابوانت رفقة حسبية بن بوعلي والطفل عمار، على الظلم والحرمان الذي عاشه الجزائريين عامة والمجاهدين خاصة حيث عبر المخرج بنظرات **علي** القاطعة، التي بقدر ما هي جريئة وقاسية بقدر ما حملت خلفها حزنا عميقا ممزوجا بالشفقة على الطفل وحسبية والحسرة على بلده التي ستركها في قبضة العدو ويرحل إلى الأبد، وفي خضم كل هذه المعاني عبرت ضمته لعمار على أمله في أن ينعم وطنه بالحرية فرغم وجوده في لحظاته الأخيرة داخل المخبأ إلا أن هناك العديد من الثوار والمجاهدين المتواجدين خارجا والذين سيكملون المشوار وينتصرون لا محالة، لأنهم واثقون من نصرهم ويحملون قلوبا من حديد لا يخشون الموت في سبيل الله والوطن أبدا.

نهاية الفيلم: كانت نهاية الفيلم عبارة عن فكرة عامة أراد المخرج من خلالها أن يصور اشتباك الشعب الجزائري في العاصمة مع قوات جيش الاحتلال الفرنسي، التي عبر فيها على الرغبة الكبيرة للشعب الجزائري في الحصول على الاستقلال بشتى الأثمان مستدلا بعدد القتلى الجزائريين الذين كانوا يسقطون برصاص الاحتلال ورغم ذلك تواصلت المظاهرات، كما صور المخرج وحشية المستعمر الذي كان يطلق النار بعشوائية دون تفرقة بين صغير أو كبير، امرأة أو رجل.

وقد صور لنا المخرج انطلاقة الانتفاضة الشعبية واعلامها التفافها حول الثورة كدليل على وعي الشعب الجزائري بأن الثورة والسلاح هما الحل لاسترجاع السيادة الوطنية. وبأن استشهاد **علي لابوانت** رفقة **حسبية بن بوعلي** والطفل **عمار** كان انتهاء معركة الجزائر ولكنه بداية انتشار الثورة في كل أنحاء القطر الجزائري.

خصائص الفيلم من حيث البنى الاستدلالية: لقد طرح الفيلم جرائم فرنسا من خلال الممارسات التعسفية ومختلف سياسات التعذيب والترهيب التي اتخذتها فرنسا لابعاد الشعب عن

الثورة والقضاء على قادة وجيش جبهة التحرير الوطني وبمكنا من خلال المقاطع التي قمنا بتحليلها إلى اكتشاف البنى الاستدلالية التي صنعت الفيلم وبمكنا التعبير عن ذلك من خلال الخصائص التالية:

كلام/ صمت: لم يركز المخرج كثيراً على الحوار، ولكنه اعتمد الصمت فاسحاً المجال لتعبير الصورة، من خلال إتقان الديكور وملابس الشخصيات... إلخ وقد إهتم المخرج بحديث كل من جعفر القائد في الجبهة وجماعته مثل حوار مع علي لابوانت، كما لم يظهر بطل الفيلم علي لابوانت في وضعية الحديث أو النقاش، وحتى الفتيات اللواتي نفذن عمليات التفجيرات وذلك حتى يترك المجال لتعبير الصورة التي وصفت مكان معين وهو حي القصبة في العاصمة وكذا الزمان وهي فترة معينة من فترات الثورة التحريرية.

ويمكن استنتاج الدلالة السيميولوجية في الطرح الإعلامي لهذا الفيلم لقضية جرائم فرنسا عن طريق الصمت الرهيب أو المخيف الذي كان يخيم على الشخصيات سواء أبطال الفيلم أو السكان وهو ما عبر عنه صمت المجاهدة التي ألقى عليها القبض رفقة جعفر وهو دلالة سيميولوجية على خوفها العميق مما ينتظرها من تعذيب شديد بغية استنطاقها، كذلك صمت المرأة التي قامت باخفاء علي لابوانت وزملائه ونفس الصورة فيما يخص الصمت الرهيب الذي ساد داخل المخبأ وعبر عن قلق علي لابوانت على زميلته حسبية والطفل عمار.

أما عنصر الكلام فعبّر به المخرج عن ثقة رجال جبهة التحرير الوطني في أنفسهم من خلال حديثهم مع قوات الاستعمار مثل حديث جعفر مع مفتش الشرطة.

ضوء/ ظل: لقد تم تصوير أغلبية المشاهد ليلاً، للدلالة على الغموض والحيرة والضياء الذي يكتنف حياة سكان القصبة والخوف مما يخفيه المستقبل، وحتى المشاهد التي صورت في مناظر داخلية فمارا اعتمد فيها المخرج على تقنية الظل ليصف الحالة النفسية للمجاهدين وهم يحضرون القنابل ويخططون لعملياتهم، كما عمد المخرج إلى التعبير عن الحزن والألم الذي خيم على علي لابوانت وزملائه في المخبأ.

موسيقى/ ضجيج: إن معظم الموسيقى المستخدمة في الفيلم، موسيقى حزينة من جهة تدل على الحزن والخوف والألم والحرمان، ومن جهة أخرى موسيقى حماسية تدل الإقدام ومواجهة العدو للدفاع عن الوطن.

وقد وظف المخرج الموسيقى الحزينة كذلك وقت تنفيذ حكم الإعدام على أحد الجزائريين، لتدل على الحزن الشديد الذي خيم على المسجونين لتظهر صورة علي لابوانت التي عبرت عن الحقد والغضب الذي سيجعل منه أكبر فدائي حير القوات العسكرية والسياسية الفرنسية.

7- القيم المستخرجة من الفيلم:

1- القيمة الإنسانية: - تجسدت في مساعدة سكان القصبة للفدائيين و حمايتهم وتوفير لهم أسباب الراحة حتى يتمكنوا من التخطيط الجيد لعملياتهم، ومن جهة أخرى تظهر القيمة الإنسانية في معاملة الفدائيين المحترمة للفدائيات اللواتي تعملن معهم.

- انعدام القيم الإنسانية لدى المستعمر من خلال الأعمال الوحشية التي يقوم بها ضد الجزائريين واستخدام مختلف ألوان التعذيب والتنكيل والاهانة ضد الجزائريين دون التفريق بين أعمارهم أو جنسهم.

2- القيمة الاجتماعية والثقافية: حمل الفيلم العديد من القيم الاجتماعية نذكر منها ما يلي:

- مراسيم الزفاف التي نقلت لنا زواج شاب وشابة من القصبة بحضور شخص من جبهة التحرير الوطني قام بعقد القران بينهما في أجواء خيم عليها الصمت بحيث لم تكن هناك زغاريد أو أنغام لأن ذلك لم يكن ممكنا في ظل الحرب والجزائريون يموتون بشتى الأساليب الوحشية الاستعمار.

- اللباس التقليدي للمرأة الجزائرية -الحايك- الذي يرمز للطهارة والعفة والأصالة.

- الأسواق الشعبية الجزائرية المنتشرة على الأرضفة والتي مازالت قائمة إلى يومنا هذا كظاهرة اجتماعية تعبر عن طبيعة المجتمع الجزائري ونمط عيشه في المدن.

- التأزر والتلاحم بين الشعب الجزائري في أصعب المحن والدليل خروجهم إلى الشارع في مظاهرات من القصبة احتجاجا على التواجد الاستعماري ثم توسع المظاهرات لتشمل كل العاصمة بشوارعها وأحيائها.

الاستنتاجات:

1/ عبر المخرج مباشرة عند بداية الفيلم على جرم ووحشية الاستعمار الفرنسي من خلال اظهار مجاهد بشكله الضعيف والهزيل والخوف باد على وجهه وهو يرتعش من شدة الخوف والألم، وقد كان ذلك تعبيرا ضمنيا ودلالة سيميولوجية على أحد جرائم فرنسا وهو التعذيب والتنكيل

الذي كانت تمارسه ضد الشعب الجزائري خاصة أولئك الذين لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع جبهة التحرير الوطني

2/ وصف المخرج جرائم فرنسا في الجزائر أثناء الحرب التحريرية من خلال التعريف بأساليب التعذيب الجسدية الوحشية التي جعلت هذا المجاهد يستسلم بعد نفاذ صبره على تحمل الألم، فقد عبر من جهة أخرى على التعذيب النفسي وهو اجباره على الاعتراف وتجريده من ملابسه وارغامه على ارتداء الزي العسكري الفرنسي.

3/ نقل الفيلم النوايا الخبيثة لفرنسا التي حاولت بشتى الطرق لابعاد سكان القصبة الذين التفوا حول الجبهة وتخويفهم بأشد أساليب التعذيب من خلال اصطحاب ذلك المجاهد الذي أصبح بصورة شبح من أثر التعذيب.

4/ وصف المخرج من خلال فيلم معركة الجزائر مدى الحرمان والألم والمعاناة التي عاشها علي لابوانت في طفولته وهو يرى الظلم الذي ألم ببني جلدته من قبل المستعمر الغاشم وسياسته الإجرامية سيما تلك الصورة التي نقلت تنفيذ حكم الإعدام على أحد المجاهدين الذين كانوا رفقتهم في السجن، حيث يصور لنا المخرج المجاهد وهو يساق إلى المفصلة بالقوة وفي ذلك دلالة واضحة على العنف والتعذيب الذي كان يمارس على الجزائريين، وهي إحدى الصور التي عبرت على أحد أكبر الجرائم التي نفذتها فرنسا في حق الشعب الجزائري كأبشع طرق التعذيب والإعدام.

5/ أظهر لنا مخرج الفيلم صور أخرى من الوحشية والقمع الذي اتخذته فرنسا للقضاء على الثورة والمجاهدين، من خلال وصول القائد فيليب ماتييو إلى العاصمة ولكن هذه المرة بأكثر حدة خاصة وأن فيليب ماتييو معروف بأساليبه الشديدة في التعذيب والتنكيل، وممارسة شتى أنواع القمع من أجل القضاء على الثورة وهذا كان هدف الحكومة الفرنسية من ارساله إلى العاصمة بعد نجاح الثورة التي شملتها مختلف العمليات الفدائية التي كان يقوم بها أفراد جبهة التحرير الوطني .

6/ اعتماد الحكومة الفرنسية سياسة الحصار وتشديد التفتيش وتوسيع عمليات الاعتقال الواسعة في حق الشعب الجزائري بغرض زيادة الخوف والضغط النفسي على الجزائريين بصفة عامة وقادة جبهة التحرير الوطني بصفة خاصة، حتى تقنع الجزائريين بفشل الثورة وتدفعهم للانسلاخ عن تدعيم جبهة التحرير الوطني وبالتالي تحقق خططها في القضاء على قادة الثورة ومنه الثورة ككل.

7/ ومن أوسع الصور تلك المتمثلة في تسلل قائد الشرطة إلى حي القصبة ليلا وزرع إحدى القنابل انتقاما للضحايا المعمرين الذين استهدفتهم التفجيرات التي خططت لها جبهة التحرير الوطني وتمت بنجاح، وقد خلف تفجير القصبة العديد من الضحايا والشهداء، لكن ظهرت صورة أخرى تجسد التضامن والتآزر بين سكان القصبة كرسالة لفرنسا بأن السياسة التعسفية المنتهجة من قبلها لا تنقص من عزيمة الجزائريين والتفافهم حول الثورة.

8/ تجسدت مظاهر العنف والحرمان وبأكبر حدة في اتجاه السلطات الاستعمارية إلى فرض سيطرتها على الشعب وخاصة سكان القصبة والأحياء التي يقطن بها الجزائرية في العاصمة، وقد أراد المخرج من خلال هذا إبراز التعامل الوحشي واللاإنساني للعساكر الفرنسيين، وقد دقق المخرج في إحدى المشاهد لإبراز هذا الجانب من الوحشية وهو صورة أحد السكان وهو يفتش من قبل أحد العساكر وإذا به يكتشف أنه نسي أوراق هويته في البيت فأخذ يترجى الجندي أن يسمح له بالعودة للمنزل بغرض إحضارها لكن الجندي رفض وأصر على نقله للسجن مع بقية المشكوك في أمرهم، ومن جانب معاكس نرى تعامل الجنود مع المعمرين بشكل مختلف وهو ما ظهر مع الجزائرية التي أوهمتهم من خلال مظهرها بأنها فرنسية، حيث أخذوا يتحدثون معها بشكل محترم وهم يفسحون لها الطريق.

9/ كما نجد صورة أخرى تعبر عن النية الخبيثة للجنرال ماثيو وذلك من خلال اجتماعه مع الجنود وهو يحثهم بشدة على تزويد التفيتش الدقيق حتى بالنسبة للنساء اللواتي يمكن أن يحملن تحت عباءتهن سلاح أو أي وثائق تخص الثورة، بالإضافة إلى تحريضهم على الرجال المسنين من خلال عرضه لصورة شيخ يحمل طاولة تنظيف الأحذية فقام الجنود ببعثرة ما فيها ما أثار سخرية واستهزاء الجنود المجتمعين مع الجنرال ماثيو، بالإضافة إلى حثهم على تسليط أشد أنواع التعذيب ضد الجزائريين المشكوك في أمرهم للحصول على المعلومات الخاصة بقيادة جبهة التحرير الوطني.

10/ صور لنا الفيلم النتيجة النهائية للعنف والسياسة الإجرامية التي تجسدت في التعذيب والترهيب ومختلف الخطط الجديدة التي جاء بها الجنرال ماثيو أهمها اجبار المجاهدين المقبوض عليهم على الاعتراف من شدة التعذيب الوحشي وهو ما حدث مع المجاهد الذي ظهر في بداية الفيلم.

11/ صور المخرج وحشية المستعمر الذي كان يطلق النار بعشوائية دون تفرقة بين صغير أو كبير، امرأة أو رجل أثناء انطلاق المظاهرات المناهضة للتواجد الاستعماري في الجزائر والمطالبة بالاستقلال وقد صور لنا المخرج انطلاقة الانتفاضة الشعبية واعلاها التفافها حول الثورة كوعي الشعب الجزائري بأن الثورة والسلاح هما الحل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية.

الهوامش:

(1) فائزة يخلف: خصوصية الإشهار التلفزيوني الجزائري في ظل النفتاح الاقتصادي دراسة تحليلية سيميولوجية لبنية الرسالة الإشهارية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، إشراف الأستاذ الدكتور نصر الدين العياضي، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 2004-2005، ص 10
(2) محمود إبراقن: التحليل السيميولوجي للفيلم، ترجمة أحمد بن مرسل، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2006، ص 14

(3) Roland Barth :*élément de la sémiologie*, in revue ; communication 04 ,édition seuil, paris ,1964,p133.

(4) Ibid, p 133.

(51) مراد وزناحي: الثورة التحريرية في السينما الجزائرية، ط1، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2014، ص 74.
(6) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 83

(7) عواطف زراري، مرجع سبق ذكره، ص 136.

(8) بن شريف محمد رفيق: صورة جبهة وجيش التحرير الوطني ف السينما، تحليل سيميولوجي لفيلم الخارجون عن القانون *des Hars la loi* وفيلم معركة الجزائر *La Bataille d'Alger*، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام جامعة الجزائر، 2010/2009.
(9) محمد عاطف غيث: مرجع سبق ذكره ، ص 236.